دفاتر المجلس
35

سلسلة منشورات الجيب

- منبر حوار الأفكار -

الجزائر في أبعادها الروحية و الحضارية

أ.صالح بن قبي (دبلوماسي _ سفير سابق)

الجزائر 2009

■ دفاتر المجلس سلسلة منشورات الجيب، تتضمن خلاصات النشاطات الثقافية التي عرضت ضمن منابر: حوار الأفكار و شخصية و مسار و فرسان البيان من محاضرات و ندوات و موائد مستديرة.

صـــدر حديـثا من هذه السلسلة

★ مكانة المرأة في المجتمع التارقي و مقاومته للاحتلال الكولونيالي.	محاضرة
★ أهمية وضع سياسة وطنية للغات.	محاضرة
★ ثقافة الطفل في الأسرة.	مجموعة من الأساتذة
★ لغة المسرح في الجزائر : الإبداع،الترجمة،الاقتباس.	مجموعة من الأساتذة
★ أهمية الشعر الغنائي في نشر اللغة العربية و في إذكاء الروح الوطنية.	مجموعة من الأساتذة
★ الأستاذ عبد الله شريط: خصال،منهاج و أفكار.	مجموعة من الأساتذة
★ لغة الإبداع و الإبداع في اللغة: الرواية الجزائرية أنموذجا .	مجموعة من الأساتذة
★ دور التراث الطبي العربي الإسلامي في تقدم الطب	محاضرة
★ محمد العربي دماغ العتروس	مجموعة من الأساتذة
★ المسار السياسي و المهني للدكتور محي الدين عميمور	مجموعة من الأساتذة

المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فراكلين روزفيلت / ص.ب: 575 ديدوش مراد الجزائر
الهاتف: 25/ 24 07 23 021 - الفاكس: 07 07 23 021
w w w . c s l a . d z

الخردة، والنحاس المسروق، من خيط الهاتف، فعمق الأشياء، هو أننا حررنا الأرض، ولم نحرر الذات، وما تزال الجزائر مستعمرة للفرنسيين، وأبرز مظاهرها اللغة الفرنسية، المهيمنة على الحياة المهنية، والإدارية للجزائريين، ولم يحدثنا التاريخ ماضيا ولا حاضرا، أن أمة تقدمت بغير لغتها الوطنية.

- الأستاذ الأمين بشيشي -

أشكر الجميع على المساهمة، والمشاركة، وإلى الملتقى في فرص أخرى، لمناقشة مواضيع أخرى،

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

دفاتر المجلس
35
سلسلة منشورات الجيب

- منبر حوار الأفكار -

الجزائر في أبعادها الروحية و الحضارية

أ. صالح بن قبي (دبلوماسي - سفير سابق)

محاضرة فكرية نظمت يوم 22 سبتمبر 2008

الجزائر 2009

سلسلة منشورات الجيب

من إصدار

المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر

تصميم وتنفيذ وإخراج:

دار راجعي للنشر

الهاتف والفاكس:

021 27 36 96

البريد الإلكتروني:

n.radjai@yahoo.fr

جميع الحقوق محفوظة

جوان 2009

الإيداع القانوني: 2642 - 2009 ردمك : 1 - 41 - 821 - 9947 - 978

- الدكتور عثمان سعدي -

عرف القرن العشرون ثورتين عظيمتين، هما ثورة الفيتنام، والثورة الجزائرية، وأي ثورة لا يمكن أن تعتبر نفسها ناجحة، إلا إذا حققت هدفين هما: تحرير الأرض، وتحرير الذات، فالفيتناميون بقيادة «هوشي مينه» حققت الهدفين، فحررت الأرض، وحققت الذات، ولكن فيما يخص الثورة الجزائرية، فقد وقع إجهاض، فتحقق تحرير الأرض، ولم يتحقق تحرير الذات.

فاتفاقية **إفيان** وقعت بنص واحد هو الفرنسية، أما اتفاقية **جنيف** سنة 1956 فقد وقعت بنصين، بالفيتنامية، وبالفرنسية.

قمت بإحصائية في سنة 2006 فوجدت أن الفيتنام قد صدرت بـ«الفتنمة» ما قيمته 26 مليار دولار خارج المحروقات، من منتوجات زراعية، وصناعية، أما الجزائر فصدرت بالفرنسة 600 مليون دولار، ثلثها من

على الحرب، ونسينا آثارها النفسية، وثمارها الخبيثة لم تظهر إلا اليوم، لأننا أثناء وجود الاحتلال كنا حذرين، وبعد الاستقلال تلاشى الحذر، ووقع الذي وقع.

ما معنى أن نقرأ في كتاب مدرسي موجه لتلاميذ المتوسط، أن الأمير عبد القادر ساعدته فرنسا على الفرار؟ الفرار مِن مَن؟ وهي العدو، وهل تنسى خمس سنوات من النفي والعزلة والمحاصرة والسجن، التي تعرض لها الأمير؟..

الأمم بلا تاريخ تقوم فتصنع لها تاريخا، فما عمق تاريخ أمريكا ؟ ، وما مصداقية حروب شارلمان مع المسلمين التي يصر عليها المؤرخون الفرنسيون؟، وهي غير حقيقية، لأن سمتنا هي النسيان..

وأما ما وقع من احتقارنا للمهن، فهو عام في العالم العربي، ففي السودان والعراق يحتقرون الفلاح، ويحتقر الحداد في مناطق أخرى من العالم العربي ، والقرآن يقص علينا أن نبي الله داود كان حدادا..

منبر حوار الأفكار

منبر مفتوح:

ـ التفكير الحر الهادف وتبادل الرأي حول قضايا: اللسان والثقافة والمجتمع، المعاصرة والتاريخية.

موائده:

ـ أطروحات للمناقشة مع جمهور المثقفين.

- موائد مستديرة لتبادل الرأي: اتفاق واختلاف.

-أيام دراسية حول مسائل تشغل الرأي العام.

هدفه:

تحديث الأصالة وأصالة التحديث وتجديد الخطاب حول الواقع والمأمول.

- الأستاذ الأمين بشيشي -

صدقت قارئة الفنجان بقولها، حب الوطن عليك هو المكتوب، فلقد تجولت بنا عبر محطات كثيرة، من الثورة والجزائر الثورية، ودون إطالة الكلمة لمن يطلبها في القاعة على أن يكون النقاش مختصرا وفي موضوع المحاضرة وشكرا.

- فتيحة نور/ صحافية -

هذه المحاضرة بقدر ما كانت ممتعة، كانت موجعة، وسؤالي ماذا حدث لنا بعد هذه الأمجاد التي عددتها؟ هل حدث لنا تعديل «جيني»، فوضعنا لا يسر السامعين ولا الناظرين؟

- السفير بن قبي -

مصيبتنا أننا على مقربة من فرنسا، وهي لن ترضى عنا مهما فعلنا، ولعل الخطأ أن كل اهتمامنا ظل منصبا

في شبه بطالة، والولايات المتحدة لديها آلاف الجنود، الذين لا يعرفون إلا الجندية، وهي تمر بفترة انكماش اقتصادي، ماذا تصنع بهم؟

فكان احتلال الكويت من قبل صدام حسين، منقذا لأمريكا من ورطتها، سواء بوعي منه أم بغير وعي، فقد سارع في بعث النظام الدولي الجديد، وأتاح لأمريكا فرصة ذهبية، لوضع يدها على منابع النفط، وبحجة مقبولة، هي إنقاذ دولة عربية صغيرة من الاحتلال.

وسعت الجزائر إلى نزع فتيل الأزمة، وتحرك الرئيس الشاذلي بن جديد في المنطقة معروف، حيث رفضت السعودية تلك الوساطة، وتعنت صدام حسين وقتها، وضاعت فرصة تعاون، بدأ يتأسس بين قارة أوربا، التي كانت في أشد الحاجة للطاقة، والعالم العربي، والشيء نفسه يقال عن اليابان، فلو تحقق ذلك، لظهرت قوة جديدة توازن أمريكا.

والحديث يطول واسمحوا لي عن الإطالة، وشكرا لكم.

- الأستاذ الأمين بشيشي -

أرحب بجميع الحاضرين، ودون إطالة أحيل الكلمة الافتتاحية لهذا اللقاء، لصاحب الدعوة الكريمة، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية الدكتور محمد العربي ولد خليفة، فليتفضل مشكورا.

كلمة د/ محمد العربي ولد خليفة

- رئيس المجلس الأعلى للغة العربية -

- أصحاب المعالي والسعادة والسفراء،
- أصحاب الفضيلة؛
- السادة الأساتذة؛
- السيد الأمين العام لمجلس الشورى المغاربي؛
- السادة ممثلو وسائط الإعلام الوطنية؛

أرحب بكم جميعا في هذا اللقاء، صح فطوركم، وتقبل الله منا جميعا الصيام والقيام في هذا الشهر المبارك، الذي

تتميز فيه الجزائر عن بقية البلدان العربية والإسلامية لأسباب تاريخية ، ترجع إلى حقبة الاحتلال المظلمة حيث كان الإسلام عقيدة وحضارة آلية دفاعية ضد العدو الكلونيالي، ومن دلائل الانتماء والهوية والركن الحصين للوطنية الجزائرية.

أيها السيدات والسادة الأفاضل؛

يجمعنا هذا اللقاء بشخصية متميزة هي سعادة السفير صالح بن قبي، الذي تربى في أحضان الوطنية الجزائرية وشرب من نبعها الصافي وهو فتى في مقتبل العمر وكان شاهدا وكان أيضا ضحية لجبروت الطغيان الكولونيالي في جزائر الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي. وشارك مع الطليعة المناضلة في صفوف النخبة القليلة العدد، التي قاومت الترغيب والترهيب، وسياسة الإدماج الانتقائي لتكوين طابو الوسطاء بين الأندجانة وإطارات الفرنسية العنصرية .

التي تأسست في عين ماضي، وبعدها فاس، والطريقة السنوسية التي تأسست في طرش في تلمسان، ووصلت إلى ليبيا، ومن ثم إلى إفريقيا، ومؤسس جمهورية «كانو» في شمال نيجيريا، هو عبد الكريم المغيلي التلمساني، في القرن الـ 16 وأسلمت على يديه العديد من القبائل.

ولكل هذا، كان الخوف من الجزائر، وتم ضربها عن طريق العنف، لأن التاريخ يحدثنا أن كل فكرة دينية تنشأ بها، فحتما ستتوسع إلى كل إفريقيا، فالكنيسة الكاثوليكية كادت أن تنفجر يوم دعا «سندونا» الجزائري المنشأ للإصلاح فيها..

والجزائر تفطنت مبكرا، لخطر النظام العالمي الجديد، الذي يهدف إلى القضاء على الحضارة العربية الإسلامية، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، بتلك الطريقة المفاجئة والسريعة، فقوة الحلف الأطلسي، بقيادة أمريكا، والذي تهيمن بواسطته على الغرب كله، وستجد اليابان نفسها

والمساحة نفسها أعطيت للمغرب، فجاءوا برأس مال ليبي، وخبرة مغربية، والآن المغرب تصدر من هذا المشروع مختلف المنتجات الفلاحية.

وقبل أن أختم هذا اللقاء، اسمحوا لي أن أشير إلى أن الجزائر، لها تجربة متفردة مع الإسلام، فهي خبرت جميع التيارات، حيث كان الفاتحون الأوائل من أهل السنة، وتأسست أول دولة إباضية على أرض الجزائر هي الدولة الرستمية، وخرجت من الجزائر نواة أول دولة للشيعة، حيث كانت جيوش قبائل قتامة الجزائرية، هي من بنت القاهرة والأزهر.

طبعا أشرنا إلى دور الجزائر في نشر الإسلام في إفريقيا السمراء، حيث كانت القبائل مبنية على العرق، والإثنية، فكانوا يحبذون العبادات الجماعية، تحت إشراف مقدم، وهو ما وجدوه في الطرق الصوفية، حيث وصلت القادرية إلى إفريقيا في القرن الـ 12، وبعدها الطريقة التيجانية،

أيها السيدات والسادة؛

ليس من السهل أن نقدّم في عجالة المسار النضالي والمهني للسيد صالح بن قبي، فهو من مؤسسي الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين فرع العاصمة، وكان معتقلا أيضا في زنزانات العدو الفرنسي، ورفيق النضال لكثير من الشباب الجزائري أثناء ثورة التحرير، وأحد المهندسين الأوائل الذين ساهموا في تأسيس وزارة الشؤون الخارجية، التي لعبت دورا هاما خاصة في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين وبقيادة وزيرها في تلك الفترة فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، حيث كانت لها أدوار رائدة على المستويات العربية والإسلامية والإفريقية، وعلى الساحة الدولية بوجه عام، حتى استحقت الجزائر مكانة متميزة في موكب المدافعين عن التحرير والحريّة، وأصبحت زعيمة العالم الثالث، والمدافع الشجاع عن حقوقهم وقراراتهم المشروعة، بدون أن يستهويها حلف العالم الصعب ولا ما بعد الستالينية

ولا ما قبلها.فقد كانت مرجعيتها ثورة أول نوفمبر1954، ومنهجها في التحرير بناء الدولة الوطنية التي تقوم على الحرية والعدالة .

ودائما في إطار المسار النضالي والمهني للسيد بن قبي، فهو من فرسان البيان للغة الضاد التي دافع عنها باستماتة، ضمن الوفد الجزائري إلى اليونسكو قبل حوالي خمسين(50) عاما، حيث نجح في إدخال العربية لغة رسمية في تلك المنظمة، ومن ثم في المنظمات الأممية الأخرى.

ونعرف أن الأستاذ ابن قبي يتقن لغة موليار، إلى جانب إتقانه للغة المتنبي، ويتميز بالفصاحة وبالبلاغة فيهما معا.

والفرنسية بالنسبة إليه كانت وما زالت سلاحا في أروقة الدبلوماسية، وفي محاوراته مع نوستلجي الجزائر الفرنسية، واستحق بمواقفه في الجزائر وخارجها اعتراف الخصوم، قبل الأصدقاء.

بالقمح، لأن في السعودية خزانا كبيرا من المياه الجوفية، قابلا للنفاد للأسف، واستغلته المملكة في الزراعة، وأصبحت تصدر القمح بثمن أقل من ثمنه العالمي، وكان يكفي السودان استثمار بحجم خمس مليار دولار، لتحقيق معجزة زراعية.

ومما يذكر في هذا الشأن، أن السودان أهدى للجزائر 350 ألف فدان، وتقلصت بسبب عدم اهتمامنا إلى 16 ألف هكتار، تمتد بين النيل الأبيض، والنيل الأزرق، وخط السكة الحديدية، وكنت قد استشرت فريقا من الخبراء، فكان رأيهم أن تقسم إلى ثلاث قطع، تخصص أحداها لتربية المواشي، والأخرى لعلف المواشي، والثالثة لزراعة السمسم، وإقامة مصنع يخصص للصناعات الغذائية الفلاحية، وسوف يشغل المشروع 1000 عامل و350 خبيرا، وفي حدود عام واحد، نستطيع أن نغطي حاجاتنا من اللحوم، والجلود، والحليب، والجبن.

وكان محدثي اللواء نافع، وهو مهندس زراعي، فقلت له: إن ما يحيرني في السودان، هو التناقض بين طبيعة الأرض وطبيعة البشر، فالأرض زراعية، والبشر رعاة؟

فتعجب من كلامي، فقلت موضحا، لست أنا من يقول هذا، فكيف تسمون قبائل الشمال؟ فقال: «الكباشة»، أي رعاة الكباش، فقلت وكيف تسمون سكان دارفور؟ قال: «الجمالة»، يعني رعاة الإبل، واسم سكان كردوفان ما هو؟ فقال: البقارين، وانتم تعرفون أن الرعي من أكبر الأخطار على الأراضي الزراعية..

والعجب أن أهل السودان لا يربون المواشي للأكل، أو الاستغلال المعروف، بل إن تركيبة المجتمع تتخذ من عدد رؤوس الماشية، ميزان تقاس به القيمة الاجتماعية للأفراد، فالرجل يزوج ابنته بحسب عدد القرون، ومن أكبر الشتائم للسوداني عندما يوصف بأنه فلاح !

وعلى الرغم من محاولة تغيير المصطلح، بكلمة مزارع، لكن الأمر لم يتغير كثيرا، فالسعودية كانت تمد السودان

الأستاذ صالح بن قبي، هو من سفراء الجزائر القلائل الذين استثمروا تجربتهم الدبلوماسية، في مناطق حساسة في العالمين العربي والأفريقي، من المملكة العربية السعودية إلى موريتانيا، إلى السودان، فدرس نظمها السياسية والاجتماعية، وتتبع تاريخها وعلاقات الجزائر مع جيرانها، فتكونت لديه خبرة ثمينة بالعمق العربي، والإسلامي، والأفريقي للجزائر.

عاصر السفير ابن قبي كثيرا من النجاحات والأزمات التي عرفتها الدبلوماسية الجزائرية، وخصص لها دراسات هامة، تتميز بالتحليل الموضوعي، والمؤسس للأسباب والنتائج، بعيدا عن التمجيد والتهليل العاطفي، كما ابتعد كذلك عن التشاؤم وتوجيه الاتهامات للأشخاص بمختلف المناصب...، نذكر من بين الدراسات التي قام بنشر البعض منها والبعض الأخر في طريق النشر:

- **الدبلوماسية بين الأمس واليوم؛**
- **عهد لا عهد مثله؛**
- **الجزائر في كل أحوالها.**

وقد تفضل مشكورا بتمكيننا من الإطلاع على دراسته الأخيرة، ودفعه التواضع إلى طلب كتابة مقدمة لهذا الكتاب، الذي سيصدر قريبا عن دار القصبة.

يساهم السفير ابن قبي منذ مدة في تكوين إطارات المدرسة الوطنية للإدارة، و وزارة الشؤون الخارجية، وهو معروف كذلك بنشاطه الملحوظ في كثير من المنابر، ومنها منبر « حوار الأفكار» الذي شرع فيه المجلس منذ أكثر من خمس (05) سنوات.

اهتم السفير ابن قبي بدراسة الإسلام عقيدة وحضارة وخصص عددا من مقارباته للتصوف السنّي وانتشاره في إفريقيا وجنوب الصحراء، ودور الطرق والزوايا الجزائرية في نشر السلم والإسلام في غرب إفريقيا، وتوثيق العلاقات الروحية والثقافية والاقتصادية مع تلك البلدان، فلجوارنا الإفريقي أهمية إستراتيجية، فإذا تحركت رمال هناك، وصلت ارتجاجاتها إلى هنا.

وبعد مضي نصف قرن من الاستقلال، ما زال العالم العربي مشتتا، وليست فيه دولة واحدة قادرة على صناعة سيارة، كل شيء مستورد، في الوقت الذي ظهرت فيه قوى عالمية اقتصادية كاليابان والصين وماليزيا، ودول في أمريكا اللاتينية والهند...ولا يوجد أي محاولة للتكامل الاقتصادي العربي..

كنت سفيرا في السودان، وأرض السودان خصبة، فلو رميت خشبة لأصبحت خضراء وأنبتت، وكنت أسكن على حافة شط النيل الأزرق، ورأيت تلك الخيرات..

وعندما كنت مغادرا، سألني مسئول من المخابرات الخارجية، كيف تقوم الفترة التي قضيتها في السودان؟

فقلت: لم أجد منكم إلا الخير، لي ولعائلتي ولبلدي، فقال محدثي: هذا كلام عام ودبلوماسي، لنتجاوزه، نريد رأيك بصراحة في السودان.

في الوقت الذي نفكك فيه نحن، كل جهازنا الصناعي الذي كان متطورا.

لقد سمحت لي الظروف أن حضرت أحد اجتماعات الاتحاد الأوربي، الخاص بالبرلمانيين، قبيل توقيع اتفاقات السوق المشتركة، ويؤسفني أن أقول أن مصيبتنا اليوم، أصبحت بأن الدعوة إلى اتحاد المغرب العربي، لم تعد مطلبا وشعارا محليا، بل أصبحت إرادة أوربية وأمريكية، وطبعا لا علاقة لهذا المطلب الخارجي بالتكامل بين هذه البلدان، بل القصد هو أن تفتح سوق كبيرة مربحة، أمام المنتجات الأوربية، والأمريكية.

وأضيف أن الأساس في تأسيس هذه التكتلات الإقليمية، أنها مرحلة أولى للتوسع، لتشمل كافة الأقطار العربية، لكن الواقع غير ذلك، فالقانون المؤسس لاتحاد دول الخليج العربي، مبني على الإقصاء، فقانونه الأساسي، يقصر الانضمام على الدول الستة المؤسسة له، ولا يسمح لدول عربية كاليمن أو العراق أن تنضم إليه.

وقد خصص السفير ابن قبي قسماً كبيراً من كتابه الأخير **« الجزائر في كل أحوالها»** لإرهاصات النهضة الحديثة، ومعرفة المنطقة العربية من تيارات دينية وسياسية: مثل حزب التحرير، الإخوان المسلمون وما عانته الجزائر دولة ومجتمعاً في التسعينيات من تفكك وتفريط وانفراط، خلف آلافا من الضحايا، وأضاع على بلادنا وقتاً ثميناً لا بد من تكاتف الإرادات لتدارك ما فات، والاستعداد لما هو آت، في عالم لا يرحم المتخلفين عن الركب والقابلين للتبعية الذهنية،وهي أم كل التبعيات الأخرى.

سيدي رئيس الجلسة معالي الوزير أخي الأمين بشيشي، السادة الحضور أترك الكلمة الآن إلى محاضرنا سعادة السفير صالح بن قبي، ليحدثنا عن:**« الجزائرفي أبعادها الروحية والحضارية».**

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

- الأستاذ الأمين بشيشي -

شكرا للسيد رئيس المجلس على كلمته هذه، وأقول له جندتني لتسيير هذه الجلسة، وقد وصلتني السيرة الذاتية، الخاصة بسعادة السفير مفصلة، وقد تفضلتم ببلورتها في كلمات قصيرة في مداخلتكم، وبهذا أغنيتني وأغنيت الحاضرين عن إعادتها، سواء مختصرة، أم بالتفصيل، غير أنني بعد قراءة هذه السيرة الذاتية مفصلة، أوحت لي بخواطر أوجزها فيما يلي:

تراءت لي للوهلة الأولى، مجموعة من البلابل، تشدو عند ميلاد السيد صالح أنشودة «أهلا وسهلا بالربيع»، طبعا لأنه من مواليد أفريل 1933، وهو فاتحة الفصل البديع..

ويردد سرب آخر من العنادل أنشودة «أهلا وسهلا بالرضيع الوديع»...

وتتقدم قارئة الفنجان، وترنو إليه في مهده، وتغني «الحب عليك هو المكتوب يا ولدي» طول عمرك، أكيد

لتصبح قوة اقتصادية إقليمية، ذات مصداقية، فالطريقة الأولى تعتمد اتحادا مبنيا على الإنتاج، أو اتحادا مبنيا على التسويق.

وكانت رؤيتنا، أنه مادامت لدينا قاعدة اقتصادية متطورة، ونسعى إلى سيادة مطلقة للمنطقة، أن ينطلق الاتحاد من الوحدة الإنتاجية، بأن نختار قطاعات اقتصادية إستراتيجية، توزع على الأقطار الثلاثة أو الأربعة، وتمد برؤوس أموال وبخبرات مشتركة، على أن نحمي هذه القطاعات من الاستيراد، حتى نصل للتطور المنشود، وإذا بهم يفرضون علينا الاندماج عن طريق السوق، فكان يعرض علينا المنتج الغربي المستورد، ويعاد تعليبه في قالب تونسي، أو مغربي، وطبعا نحن قادرون على استيراد ذلك المنتج من البلد الأصلي مباشرة.

وخلال عشرية الفتنة التي عانينا منها، استفاد الأشقاء من هذه التجربة وهذا التعاون، وصاروا ينتجون،

وهو مصنع للطلاء الصناعي، وتدعيما لهذه المشاريع تأسس بنك مغاربي، وتدعم بمؤسسات تعليمية هي معهد الجمارك، ومعهد المالية.

وانطلقت هذه المشاريع على أساس أن يتم التسويق للبلدين بالعملة المحلية، لكننا فوجئنا أن المنتج يسوق بالعملة الصعبة في الأسواق العالمية، وكل المشاريع في يد الشريك،فمثلا مصنع الاسمنت كان يوظف 800 عامل تونسي، وفي النهاية تبخر المشروع، وكذلك كان مسعانا في اتحاد المغرب العربي، وهو مشروع طموح، يمتد من الحدود المصرية إلى حدود السنغال، والمشروع يملك كل مقومات دولة تطمح للوحدة والاندماج، ويشرف عليه مجلس وزراء الخارجية، وكمجالس متخصصة في كل قطاع.، كان طموحنا هو إحياء فكرة «مغرب الشعوب»، لكن الطرح المغاير كان ينظر إلى الاتحاد على أنه «مغرب الحكومات»، وكانت البداية هي تحقيق الاندماج الاقتصادي، وهذا الاندماج يتحقق عبر طريقتين،

الحب مكتوب عليك سرمديا من أجل وطنك، لا وطني يا ولدي، حب الوطن والتضحية من أجل علاه، مهما كان الثمن باهظا..

ويكبر الفتى صالح مغذى بقيم عائلية في حضن عائلة محافظة، حصنته بالقرآن الكريم، وباللغة العربية السليمة، والمبادئ القويمة، ثم تشبع بهذه القيم في مدرسة حرة هي «مدرسة السلام»، بمدينة الجسور المعلقة، والزهور المعتقة، لصاحب الخطى الموفقة، مدينة قسنطينة الزاهرة..

ثم التحق بالمدرسة «الكولونيالية»، وبعدها بالدراسة الثانـــوية في ما كان يعرف آنذاك بـ«la médersa»، وهي إحدى المؤسسات الثلاث عبر التراب الوطني، المسموح لها بتلقين عدد محدود من الشبان الجزائريين، الثقافتين العربية، والفرنسية، وأهدافها معروفة لديكم، ولكن جل خريجيها حولوها إلى مسار أسلم وأقوم..

وشاءت الأقدار أن يتزامن وصول الشاب صالح آنذاك، إلى جامعة الجزائر بالعاصمة مع اندلاع الثورة التحريرية المباركة، ليتقاسم مقاعد المدرجات، ورف حي «لوبيرسو» بالعاصمة، مع مناضلين أمثال الشهداء عمارة رشيد، والطاهر بن مهيدي، ومحمد الصديق بن يحي، وبن بعطوش، ومن الأحياء الدكتور الأمين خان، والأخضر الإبراهيمي، وعبد الكريم حساني، وعبد الكريم بغلي، فشاركهم النشاطين الطلابي والسياسي السري ضمن الخلايا الأولى لجبهة التحرير الوطني..

تولى بعد ذلك مسؤوليات شتى، داخل التنظيم الطلابي، كعضو لأول مكتب للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، واشرف بعد ذلك، بصفته عضوا قياديا مع رفاقه، على تحضير إضراب الطلبة الشهير في 19 ماي 1956، والتحاقهم زرافات زرافات، ولا أقول زرافات ووحدانا بالثورة التحريرية المسلحة.

إن الجزائر استأثرت بالصناعات الإستراتجية والثقيلة، فانسحبوا، وكان شعارهم: «سلوا ثيابكم عن ثيابنا تنسل» .

وفي سنة 1983، كنت مديرا للبلدان العربية، بوزارة الخارجية، فكرنا في الانطلاق في تجربة محدودة، مع بلد واحد هو تونس، وقعنا اتفاقية «التعاون والتكامل»، وكانت أسس الشراكة هي حصر التعاون في مشاريع قليلة، تلبي حاجة البلدين في قطاعات معينة، وتنطلق برؤوس أموال مشتركة، وخبرة مشتركة، ومراعاة التوزيع العادل للهياكل على تراب البلدين، وإعطاء تسهيل سياسي خاص بالمناطق الحدودية، التي تحملت عبء المصائب في العهد الاستعماري، كإعفاء السكان من جوازات السفر، والاستفادة من خدمات المدارس أو المستشفيات وغيرها، الموجودة في البلدين..

وكانت المشاريع الثلاثة هي: مصنع محركات «الديزل»، ومصنع الاسمنت الأبيض، ومصنع «ليتبون»،

إلى أي معسكر من معسكرات الاختلاف الحاصل بين العرب، إذ كان التركيز على وحدة العرب، والاستفادة منهم جميعا في دعم الثورة، ولأول مرة حصل الإجماع العربي على قضية واحدة، هي قضية الثورة الجزائرية.

وبعد الاستقلال، كانت الحرب الباردة في أوجها، فكان السعي لخلق جو جديد في العالم العربي، فعلى مستوى دول الجوار، كان السعي لتنقية الميدان من الألغام الموقوتة التي خلفها الاستعمار، المتمثلة في الحدود الموروثة عن العهد الاستعماري، فسارعت الجزائر لتسوية هذا الملف مع كل الجيران.

وفي سنة 1964، سعينا إلى إنشاء مجموعة اقتصادية (اللجنة الاستشارية المؤقتة للمغرب) ، وكان الأساس هو أن ننطلق من وحدة اقتصادية أولا، كوسيلة لمواجهة القوة الخارجية، وذلك بتشجيع كل الإمكانات الموجودة في المنطقة وتطويرها، دون منافسة، ليستفيد منها كل أبناء المنطقة، لكن التجربة لم تعمر طويلا، لأن الأشقاء قالوا

ألقي عليه القبض في أفريل 1957، كما ولد في أفريل1933، فيما عرف بـ «معركة الجزائر العاصمة الكبرى»، وقضى في السجون والمعتقلات أربع سنوات، تعرض خلالها لأنواع التنكيل والتعذيب، لكن «رب ضارة نافعة»، فقد سمحت له فترة السجن والاعتقال بمعاشرته الطويلة لعلماء أجلاء، من أمثال: الشيخ أحمد سحنون، وعبد القادر الياجوري، والشاعر محمد الشبوكي وابن عتيق، والسعيد صالحي، والطبيب الشاعر احمد عروة..

لقد كان المعتقل بحق، مدرسة حقيقية، ينمي فيها النزيل مداركه، ويرفع فيها مستواه المعرفي بامتياز.

غداة الاستقلال مباشرة، شغل الأخ صالح بن قبي مناصب هامة، كلها تقريبا في إطار وزارة الشؤون الخارجية، بدءا من منصب مدير مركزي للتعاون الثقافي والاجتماعي والفني، ليبدأ رحلة طويلة في الدبلوماسية، سفيرا للجزائر في موريتانيا، والسودان، وليبيا، وفي المملكة العربية

السعودية، والجدير بالذكر في عمله الدبلوماسي، أنه كان على رأس الوفد الجزائري الذي استطاع، بفضل سمعة الجزائر آنذاك، أن ينتزع من اليونسكو الاعتراف بلغة الضاد، كلغة عمل رسمية، وهذا خلال جمعيتها العامة بباريس سنة 1968، لينتمي بعد ذلك إلى معهد الدراسات الإستراتجية، بصفته مستشارا، والى مؤسسة الأمير عبد القادر، التي ترأس مجلسها العلمي لفترة، وهو عضو في المكتب الوطني لمؤسسة مفدي زكريا.

وللأخ ابن قبي مجموعة من الإصدارات في مجلات متخصصة، وله العديد من المؤلفات، ذات الصلة بتاريخ الثورة، وعلم الاجتماع، والسياسة، صدر له منها:

- **الدبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم**
- **وعهد لا عهد مثله**
- **Une époque pas comme les autres**
- **L'Algérie dans tous ses états**

بالثورة إلى الشارع، ليحتضنها الشعب ويسير بها إلى غايتها المنشودة.

وبعد الاستقلال بقيت الجزائر وفية لمبادئها، ووفية للإخوة الذين مدوا لها يد العون أيام الثورة، ولا بد من الإقرار بدور الأشقاء، في دعم الثورة ماديا ومعنويا، فحفظت هذا الدين للشعوب المغاربية والعربية.

فعلى الرغم، من تضحياتنا الكبرى، إلا أننا لا ننسى أن الأشقاء قد وفروا لنا ملاجئ خاصة على الحدود الغربية، والشرقية، ثم إن طبيعة الثورة الجزائرية، سواء بحجم تضحياتها - حيث حققت إجماعا وتعاطفا حولها، وأرجعت إلى النفوس أمجاد الأمة العربية والإسلامية-، أم حرص الثورة على تجنب التدخل في شؤونها الداخلية وفي شئون البلدان الأخرى، حيث كان شعارها «أهل مكة أدرى بشعابها»، ومن جانب آخر، حرص النشاط السياسي الجزائري، على اجتناب التورط في الانحياز

على الطلبة الجزائريين، أثناء الثورة التحريرية التفكير في بعث تنظيم خاص بهم، فكان «الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين».

لقد اندلعت الثورة التحريرية في أحلك الظروف، إذ كان بالجزائر ما يزيد عن مليون من المعمرين، وعدد هائل من قوات الاحتلال، وكان الحزب الوحيد الذي يحمل في وثائقه مطلب الاستقلال، يمر بأزمة داخلية عاصفة، ووصل الانقسام بين مناضليه إلى درجة التراشق بالاتهامات والشتائم، والتقاذف بالحجارة، أمام المقر المركزي للحزب، وتحت مرأى ومسمع الشرطة الاستعمارية، التي لم تخف ابتهاجها بما تشاهد.

في تلك الظروف، من شهر نوفمبر سنة 1954، تظهر جماعة أخلصت لربها ولوطنها، وحريصة على أن لا يكون الشعب الجزائري من الخوالف، إذ كانت حركات مسلحة في المغرب، وتونس، تناوش الاحتلال، فرمت

سيادتي سادتي، إخواني أخواتي:

أيها الجمع الكريم، دون إطالة أقدم لكم سعادة السفير صالح بن قبي ليحدثنا عن «الجزائر في أبعادها الحضارية والروحية»، فليتفضل مشكورا.

- سعادة السفير صالح بن قبي -

يشرفني ويسعدني، أن أتحدث إليكم في هذا اللقاء، في موضوع يهم بلادنا، ويتجه أساسا للأجيال الصاعدة، والشكر كل الشكر للسيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، الذي أتاح لي فرصة تناول هذا الموضوع معكم، وهي محاولة لإيصال هذه الحقائق للأجيال الصاعدة، لأن أمجاد الجزائر، تكاد تكون أمجادا خارقة للعادة، ولكم صار يضرب عليها تعتيم تام، بعضه صادر عن أبناء الجزائر أنفسهم، والبعض الآخر يعود إلى كيد خارجي، إلى حد أصبحنا فيه نظهر، وكأننا ليس لنا ماض، ولا طريق مرسوم وواضح نحو المستقبل..

حاولت من خلال الكتاب الذي صـــدر لي، وأنا الآن بصدد عرض ملخـــصات منه، والكتاب صدر بالفرنسية تحت عنـــوان: « L'Algérie dans tous ses états»، وفيه نقف على الحسرة التي تنتابنا، إذ بعد خمسين سنة من الاستقلال، والتضحيات الجسام، والكفاح المشترك، من أجل تحرك جماعي عربي إسلامي، نجد أنفسنا اليوم أمام هذا الوضع الجماعي المؤسف، سواء في الميدان المادي أم الأدبي أم الروحي، أم فيما يتعلق بعلاقاتنا مع سائر التكتلات في العالم من حولنا.

وحاولت أيضا أن أتحدث عن الدوائر والأبعاد التي تتحرك ضمنها الجزائر، بدءا من البعد العربي، وانتهاء بالبعد الإسلامي، والبعد الإفريقي، وعندما أتحدث عن البعد العربي، لا اقصد بهذا الوصف المعنى العرقي، ولا تلك العلاقات التي نسجت مع هذا الفضاء عقب دخول الإسلام فحسب، فعلاقات الجزائر مع العربية والعروبة، ضاربة في التاريخ، لأن اللغة العربية وصلت إلى هذه

بعد انتهاء المعارك المسلحة، واجهت البلدان المغاربية الأخرى، المصير نفسه، إذ كانت الجزائر ونظرا لوسطية موقعها، سباقة في الدعوة للعمل الجماعي، فكان تأسيس «نجم شمال إفريقيا»، والذي بقينا فيه وحدنا، بعد قرابة سنتين من العمل المشترك، إثر انسحاب كل من تونس، والمغرب.

وكذا الحال بالنسبة للنشاط الطلابي، فأول جامعة عصرية ظهرت بالمنطقة، كانت جامعة الجزائر العاصمة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكانت القلة من الطلبة المسلمين الذين تيسر لهم الالتحاق بها، قد أسسوا أول تنظيم طلابي موحد، هو «الجمعية العامة للطلبة المسلمين لشمال إفريقيا» ثم أنشئت لها فروع في كبرى المدن الفرنسية..

وبمجرد أن لوحت فرنسا باستقلال تونس، حتى غادر طلابها الجمعية، وكذلك فعل المغاربة، مما حتم

الحكومة البروسية جواسيس إلى الأمير عبد القادر في منفاه بدمشق، وجواسيس آخرين إلى داخل الجزائر، في المناطق الشرقية، وفي القبائل الكبرى، وكانت رسالتهم تحمل فحوى أننا سنخوض حروبا مع فرنسا، فعليكم اغتنام الفرصة، فربما تكون السبيل لاسترجاع سيادتكم، وفعلا أرسل الأمير ابنه محي الدين إلى تبسة في عمل تحسيسي، وكان المقراني والحداد على نفس الاستعداد.

وفي سنة 1870 وقعت المعركة، ووقع الجيش الفرنسي برمته أسيرا في قبضة بروسيا، بمن فيهم نابليون الثالث، في واقعة «سيدان»، وكانت فرصة حقيقية للجزائريين، لكن الذي حدث أن الألمان لم يكونوا على هذا الرأي، فقاموا بإطلاق سراح الجيش الفرنسي بين عشية وضحاها، وأكثر من هذا أنهم عقب احتلالهم لمدينتي الألزاس ولورين، قاموا بتهجير جميع سكانهما إلى الجزائر، ووقعت أكبر حملة لم يشهد التاريخ لها مثيلا، من تجريد الجزائريين من أراضيهم.

الربوع في زمن سابق عن ظهور الإسلام، من خلال الفينيقيين، الذين أسسوا العديد من المدن على السواحل الجزائرية، وحتى داخل البلاد، واسم مدينتي التي ولدت فيها، تحمل اسما فينيقيا، إذ أن اسمها «قرطة» وهو اسم موجود في اللغة العربية: «تقريط»، «تقراشت»، «قرطبة»، «قرط آجان»، فكلمة قرط تعني المدينة.

والنصرانية دخلت الجزائر، محمولة بلغتها الأصيلة، لغة المسيح الآرامية، وهي لغة قريبة كل القرب من العربية.

وحول دخول الإسلام إلى الجزائر، فإنه لا يخفى حتى على المتطرفين من المستشرقين إعجابهم واندهاشهم من ذلك، فكلكم يعرف أننا معشر «الأمازيغ»، شعب الحرية ورفض الاستعمار، لكن الذي حدث أن الأمر لم يكن ظاهرة استعمارية، إذ يمكن للسكان الأصليين أن يردوا غازيا يملك طائرات، وأسلحة متطورة، كما يمكن للملاكم من وزن الريشة أن يهزم ملاكما من الوزن الثقيل، أما عندما يتعلق الأمر بمن يملك أفكارا، فإن الوضع يختلف.

فعقبة بن نافع الذي وصل مشارف الجزائر سنة 670 ميلادي، أخذ احتياطاته، وشرع في بناء قاعدة عسكرية، لينطلق منها إلى الأوراس وبقية الجزائر، وإذا بالإسلام يعم ربوع الجزائر، في أقل من أربعين سنة، فطارق بن زياد فتح مدينة «كاديكس» في الأندلس سنة 711 ميلادية، ومعنى ذلك أن الجزائري سار براية الإسلام في أقل من أربعين سنة إلى أصقاع لم تصلها، سار بها إلى شمال البحر الأبيض المتوسط، والأندلس بالذات.

وكل الفتوحات التي كانت في حوض المتوسط، كان للقوات الجزائرية إسهام كبير فيها، سواء تعلق الأمر بفتح صقلية أم مالطة أم في غيرهما، وهذا الدور لا يقل شأنا، فيما يتصل بانتشار الإسلام جنوب الصحراء في القارة السمراء، بحيث كان انتقال القبائل الصنهاجية «مدوكالة» و«لمتونة» في الربوع المغاربية، واستقرت بموريتانيا، قصد نشر تعاليم الإسلام، وأنشأت لنفسها «رباطا» في نهر السنغال، وهو نوع من العمل العسكري والتبشيري

والحقيقة أنه ما كان لفرنسا أن تتمكن من الجزائر، لولا تواطؤ أوربا كلها، فآنذاك كان الجيش الفرنسي في عهد نابليون الأول، كان خارجا من معارك أوربا، التي امتدت إلى موسكو، وشملت روما التي جعل عليها نابليون أخاه، واحتل اسبانيا، ووضع عليها قائد جيوشه في السويد برنادور، أما بروسيا وألمانيا فقد ذاقتا الأمرّين، ولذلك كان همهما أن يبقى الجيش الفرنسي بعيدا عن أوربا، أما بريطانيا التي كانت لها إستراتجية، ولها أغراض توسعية، كونها قوة بحرية كبرى، فكان همها احتلال مداخل البحار كالسويس، ومضيق جبل طارق.

لأجل ذلك، كانت هذه الدول تحث فرنسا على متابعة مغامرتها في الجزائر، اتقاء لشرها في أوربا، وفي هيمنتها على البحار.

كانت الفرصة سانحة للجزائريين، بعد سنة 1866 سقوط الجزائر، إذ كانت نذر حرب وشيكة الاندلاع بين بروسيا، بقيادة بسمارك، وفرنسا بقيادة نابليون الثالث، وأرسلت

- إنشاء جيش في مستوى الجيوش الغربية

- تكوين الإدارة

- الاهتمام بالتعليم

وهذه الأسس نجد لها صدى في وثائق تلك المرحلة، فالأمير شعر أن المعركة لا يكفي فيها التعبئة العسكرية فحسب، فهي معركة شاملة، تتطلب تجنيد طاقات الأمة كلها، وذلك بزرع الثقة في النفوس، وإشاعة العدالة بينهم، حيث خاض الأمير المعركة، وعلى الرغم من اختلال موازين القوة، امتدت لمدة سبع عشرة سنة، كان سرج حصانه هو عرشه، وسرير نومه، ينتقل من المغرب إلى جبال زواوة بتيزي وزو، يخوض المعارك ويفاوض، وهو الأمر الذي جعل الجزائر تصمد طيلة هذه المدة.

لكنها في الأخير، للأسف سقطت، ومع هذا السقوط بدأ يظهر ما حذر منه أحمد باي الأشقاء في تونس، وحذر منه الأمير عبد القادر الأشقاء في المغرب، من أن سقوط الجزائر يمهد الطريق لاحتلال المنطقة كلها..

بالإسلام، ومن هنا انطلق انتشار الإسلام في القارة السمراء، مدعوما بمدروحي آت من الجزائر، ومن المغرب.

فالبعد العربي ظل حاضرا، طيلة تاريخ الجزائر منذ دخول الإسلام، حيث تفرح الجزائر بأفراح العالم العربي وتساهم في أمجاده، وتحزن لأحزانه، وانتكاساته ومآسيه.

وكما ذكرت قبل حين، على الرغم من طبيعتنا المتشبثة بالاستقلال والحرية، فلم يسجل التاريخ على الجزائر، أن تخلت عن واجباتها الوطنية، أو الحضارية، فعندما كانت حركة المد الإسلامي تتجه شمالا، كان للجزائر إسهامها الواضح فيه، وعندما دب الهوان والضعف على العالم الإسلامي، وسقطت الديار الأندلسية، وانتقل المد المسيحي الصليبي في حركة معاكسة، باتجاه الديار المغاربية، حيث احتلت مدينتا سبته ومليلة من البرتغال، قبل سقوط غرناطة أي في سنة 1341، وأخذت القوات الاسبانية تحتل المدينة تلو الأخرى، من أغادير الرباط

ولعل من أكبر عيوبنا آفة النسيان، وعدم استلهام التاريخ، واستخلاص الدروس منه، فسريعا ما ننسى ما مر بنا من محن، نقرأ في كتاب صدر لمؤلفين يهوديين، من يهود الجزائر، هما ابن سيمون وسيدة تسمى ابن حيون، يقول المؤلفان: بأن الجالية اليهودية بعد مغادرة الجزائر، ونزولها بالبلدان الغربية، واختلاطها باليهود الاسخناز، انتبهوا إلى أن احتفالاتهم وأعيادهم، ترتبط بأحداث تاريخية، ومن هذه الأعياد نجاة الجزائر العاصمة من السقوط في قبضة شارلكان سنة 1541.

فمن منا لا يتذكر ذلك التاريخ، فاليهود يعلمون من تجربة سقوط الأندلس، وما فعلته محاكم التفتيش هناك، يعلمون أنه لو سقطت بلدان المغرب العربي في أيدي الإسبان، لتحولت إلى النصرانية، أو إلى لا شيء، إذن فظاهرة نسيان أمجاد تاريخنا، تكاد تكون ظاهرة ملازمة لنا، وباستمرار.

وإذا جئنا إلى المقاومة التي قادها أحمد باي في الشرق، والأمير عبد القادر في الغرب، نجد أنها لم تنطلق بدافع الزعامة، فهذا الشيخ محي الدين (والد الأمير عبد القادر) ومن بعده الأمير، وقد أدركا خطر الحملة الفرنسية، وأن مطامعها تتعدى حدود الجزائر، وتستهدف كل الديار المغاربية، حيث استعظم محي الدين أن يعين أميرا، أو أن يعين ابنه، فلم يكن همهما السلطة، وليس أدل على ذلك، أنهما شكلا وفدا من أعيان قبائل المنطقة الغربية، وأرسلاه إلى السلطان مولاي عبد الرحمن، يناشدانه تولي السلطة على المغرب، والجزائر، وبالتالي إنقاذ هذه الأقطار من خطر الصليبية الداهم..

وأرسل السلطان أخاه، ولبث في تلمسان أقل من ثمانية أشهر، خضع بعدها لتهديد السلطات الفرنسية، ثم انسحب، وبعدها تولى الأمير عبد القادر القيادة، ولم يتجاوز حينها سنه أربعة وعشرين سنة، والأمير لم يكن إلا شابا طالب علم، ولكنه وجد نفسه يواجه آلة عسكرية رهيبة..

ومن أمجادنا، أيضا، إذ بعد أن تقوت القوى الغربية، وأصبحت تطمح في القضاء على الحضارة العربية الإسلامية، كانت الجزائر على رأس المتصدين لهذه الحملة، ولا غرابة أن تكون على رأس قائمة تلك المطامع الاستعمارية، ولم يكن ذلك من باب الصدفة، فالجزائر التي تصدت طيلة ثلاثة قرون متتالية للمطامع الصليبية، في العهد العثماني، وحولت البحر المتوسط إلى فضاء نظيف من غارات القراصنة، وفرضت نظاما اعترفت به الدول الغربية، وأرسلت سفراءها إلى الجزائر، وخلاصة القول إن الجزائر ساهمت بالجنود والأساطيل في معارك شهيرة كمعركة نفارينو، ومعارك اليونان، وغيرها..

ولو لم تبادر فرنسا باحتلال الجزائر، لتولت دولة غربية أخرى هذه المهمة، ومما جاء في كتاب ألفه القنصل الأمريكي وليام شيلير الذي أقام في الجزائر من 1810 إلى 1824، ففي هذه الفترة التي قضاها، أرسل كتابا إلى الحكومة الأمريكية، يحثها على كسر شوكة الجزائر، التي

غدت قوتها شتيمة في وجه عزة المسيحية، وغدت تخضع البلدان الغربية لنظامها في البحر..

ومعلوم أن الجزائر، هي أول دولة اعترفت بأمريكا سنة 1792، وفي سنة 1794 وقعت معركة في عرض المحيط الأطلسي، معركة بين الأسطول الجزائري والأسطول الأمريكي، استطاعت البحرية الجزائرية أن تستولي على ثلاث عشرة سفينة، وجاءت بها إلى مرسى الجزائر، وكانت أمريكا تتألم لمصير جنودها الأسرى، من أن يباعوا في الأسواق، وكان همها الأكبر هو التعجيل بفك أسرهم.

وبمجرد أن خلصوا من حربهم ضد بريطانيا، أرسلوا وفدا محملا بالأموال الكافية إلى الجزائر، لفدية الأسرى، وكم كانت دهشة الوفد حين رأى الأسرى مندمجين في المجتمع الجزائري، يلبسون لباسهم، ويدينون بدينهم، وتزوج أغلبهم من جزائريات..